الدعوة إلى التجديد في الشعر الليبي الحديث

التمهيد:

الدعوة إلى التجديد في الشعر الليبي الحديث من حيث الشكل والمضمون، والخروج به من ظاهرة الجمود، والتقوقع حول موضوعات موروثة مثل: المدح، والهجاء، والاحتفال بالمناسبات وغيرها، ولهذا نرى أن الشعراء الذين نادوا بالتجديد تعرضوا إلى التغريب النابع من مرارة التجربة التي يعيشها الأديب في وطنه، كمثقف واع بكل الهموم المتربصة بمجتمعه، ومبصراً لكل التناقضات، ولكن لا يملك القدرة على التعبير، وأن يذهب هو الآخر ضحية لها، حيث تنشأ في نفس الشاعر غربة المثقفين، وهي غربة فكرية تجعله ينظر إلى ما هو سائد نظرة تعالٍ وسمو.

المبحث الأول: التمرد على حالة الجمود

من الشعراء الذين كانوا ضحية الاغتراب الثقافي والفكري، الشلطامي، فهو شاعر دائم الثورة يدعو للتمرد على حالة الجمود الثقافي، والسياسي، والاجتماعي، والتقاليد البالية، لأنه دائمًا يعيش هاجس الإبداع، فها هو يدعو للثورة على النمط القديم للقصيدة يقول[1]:

وعادت ليلى تجنيها

سنابل كل ما فيها

بقايا من دم المجنون ما عادت

تعاطيها

كلام كان قبل اليوم

موزونا

ومغزولا

وأمسى السيف مغلولا

وأصبح كل من في الأرض مصلوبا

ومقتولا

ونتيجة دعوته إلى التجديد، كان ضحية لانتقادات الصحافة الصفراء والذين يقفون ضد مشروعه الهادف إلى الإصلاح والتغيير، يقول[2]:

وتظل تركض والكلاب النابحات

على خطاك

والجرب والمتشاعرين وباعة الصحف

القديمة

يتهامسون إذا مررت من الأزقة

فالغنيمة

هو أنت فَابك ما تشاء على مبادئك

العظيمة

ويسعى الشاعر إلى تحقيق ذاته من خلال السمو بها عن الغايات النفعية داعيًا إلى الحركة والثورة ورفض التكلس والروتين البالي، يقول[3]:

حينما أعطبني المشعل آمنت

بوهج الكلمات

وبألوان الحروف

حينما تصبح فوق الأرض قمحًا

وصلوات وزهرا وقمر

فالشاعر يصور الصراع القائم بين دعوته إلى الشعر الملتزم بقضايا الأمة والمواكب للعصر وبين شعراء عصره الذين لم يتجاوزوا نطاق المدح والرثاء لرجال السلطة وما تمليه عليهم من اتجاهات في قوله[4]:

كئيبًا فار دمع العيون

فمن يجعل الشعر فوق المديح وفوق الرثاء

وفوق الغزل

جديدًا نلوّن منه الدموع

ويصور الشاعر تكوّن وعيه الفكري واتساع مساحة إدراكه لأبعاد الأمور، بعد خيبة الأمل التي تلقاها في أسلوب حركة القوميين العرب، دفعته إلى الانسحاب منها، يقول[5]:

كبر الطفل وما عاد يدوخ

فيك يا سيرة عنتر

لم تعد قطعة سكر

كل ما يطلبه الطفل العنيد

صار أكبر

صار مهمومًا ويسخر

من ألاعيب الشيوخ التافهين

ويدين الشاعر المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ التي تقمع الآراء والأفكار التي تأتي بالجديد، وشبّه معاناة المجددين والمفكرين في مجتمعاتهم بمعاناة الأنبياء في أقوامهم، ومدى ما يتعرضون له من رفض ومحاربة في قوله[6]:

فإذن موسى هو الذي يعرفه الجوعى

ويمليه على المعجم صوت الفقراء

شعلى النيران في التاريخ يا موسى

وروّجت لأفكار الوصايا العشر في الألواح

كي تعطي لشكل الناس مضمونا جديد

جعل المستضعفين المسترقين يثورون

على أسيادهم

وينادون بأفكار الوصايا العشر للعدل وللخير

فماذا؟

بعد يا موسى يكون الحكم في حقك

والقانون قد جرّم أفعالك

من أولها

فمحاصرة الكلمة وخنقها ومصادرتها قبل أن تولد، وتكميم الأفواه عمّق فجوة الحزن عنده، فراح يتساءل لماذا لا تكسر هذه القيود؟ فالشاعر ينكر استسلام الأدباء والكتاب لهذه القيود العتيقة، يقول[7]:

كيف لا يكسر هذا الكاتب المثقل

بالهم

قيود

الموت

هادمًا أسطورة الموت العقيمة

رافضًا كل الشعارات القديمة

ويصور الشلطامي أن السلطان ورجاله "قوى الشر" يسعون لأن تكون الكلمة في خدمة السلطان وتحت أقدام الخليفة وفي خدمة الدولة، ويتألم الشاعر حيال هذا الواقع، يقول[8]:

مُشرقٌ كالشَّمسِ وجهُ الكلمة

فلماذا حاصروها

يغني بين أقدام الخليفة

وبأسماء الخليفة

لماذا صادروها؟

حينما غنت لموت القبَّرهْ

ولعري الشجرة

وبأسماء الملايين التي تذبح في كل بلد

ويتوعد الشاعر رجال السلطة والحكام بأن الكلمة خالدة ولن تفنى، وأنها السلاح الذي يهدم عرش الفساد والظلم، فمواجهة الحاكم للكلمة الهادفة تعني دماره الأكيد، يقول[9]:

يجهل السلطان أن الكلمات

الخضر

لم تولد

ولن تفنى

على بوابة القصر الكبير

ولذا يحفر قبره حينما يحفر قبر الكلمة

ويعود الشلطامي إلى التلاقح الفكري لأن الجمود القاتل لا يتماشى وحياة الإنسان وطبيعته النفسية التواقة إلى التطور والتجديد، ومن هذا المنطلق يسلط الضوء على الاغتراب الفكري الذي يصيب بعض المثقفين جراء تناقض أفكارهم مع أفكار الغير، يقول[10]:

هو الشعر مرثية لم تزل

تقفقف دون معان ووزن

وقافية واخضلال حروف

أدق لأحفر في الوحل قبراً

وما خط في شاهد اللحد

خطرا

يراع يؤبن شعبًا يموت

وها عدت من بعد طول الغياب

أعوم على جثة طافية

لأعزف أوهام هذا الزمان على شهقة الوزن والقافية

ويبلغ الصراع مداه حين يفرض الواقع الاغتراب على الشاعر متمثلاً في وجود منافٍ لآماله، الأمر الذي جعله يتخيَّل اللغة بشرًا قد خذله فيناديها بقسوة وينعتها بصفات تبرز حنقه فيقول[11]:

أَيَّتُها الُّلغةُ المُومِسُ أَعْطِنِي حَفْنةً منَ المُفرَدات

تُنْقِذُ الدَّهشَةَ الفَزَعَى فِي فَضاءاتِ

الخَوَاءِ الَّلعِين

أَيَّتُها الُّلغةُ الَّلعْنة مُفَزَّعةٌ أَنتِ مِنَ الْحَدسِ

والظَنِّ فَهلْ لَدَيكِ بُرْهةٌ لحْظَةٌ مِنْ جُنون

من فرط يأسه يرى أنَّ اللغة أصبحت لا تسعفه، ومفرداتها لا تمنحه الاستقرار، فلم تنقذه من الخواء اللعين، ثم تحدثه نفسه عن نهر الدم الذي سال. فخيل له أنَّ الساعة قامت:

يُحَدِّثُنِي بَاطِنٌ أَحْمقٌ في الصَّخبِ الصَّامت

عنْ نهرِ دَم

وأسْمعُ الأرضَ تُرتِلُ " إنَّ زَلْزَلةَ السَّاعَةِ

شَيْءٌ عَظِيمٌ "

ويقر بحاجته لمخلص ينتشله مما هو فيه، ويعترف بانهياره أمام الواقع الرديء:

مَنْ يَعْرِفُ سِرَّ لُغَتِي

يُنْقِذُنِي مِنْ رُؤْيَتِي

حَتَّى أُكْمِلَ الْبَوْحَ أَنَّ الْكَوَابِيسَ أَرْهَقَتْ

قَدْرِي

يرى الشاعر علي الرقيعي – من خلال قصائده – أنَّ الشعر ما هو إلاَّ ملحمة للجموع، وصوت للجماهير، وهو يستقبح الشعر الخالي من القيم والمبادئ، تصاغ مقاطعه من الرياء والنفاق وليس فيه إلاَّ الألفاظ المنمقة. يقول في قصيدة من (البحر البسيط)[12]:

مَا أَقْبَحَ الشِّعرَ إِنْ صِيغَتْ مَقَاطِعُهُ مِـــنَ الرِّيـاءِ فَـلا رُوحٌ وَلاَ قِيَـمُ

مَا أَقْبَحَ الشِّعْـرَ أَلْفَـاظًا مُنَمَّقَـةً يَتِيهُ فِيهَا الْوَنَـى والزَّيْفُ والسَّـأَمُ

الشعْـرُ مَلْحَمـةٌ تَشْـدُو الجُموعُ بهَا للشَّمسِ يَحْملُها طُوفَانُها العَـرِمُ

لاَ لَـمْ يَعـدْ جَسَـدًا نَبْكِيـهِ في بَلَـهٍ أَوْ مَجْلِسًا يَزْدَهِي في ظِلِّه صَنَمُ

كما أنَّ الرقيعي يؤكد مفهوم الشعر الذي ينتمي إلى الأرض ويناضل من أجل قضايا الناس، " فلا مكان عنده لغير الشعر الذي ينتمي إلى الجماهير ويذود عنها، يعبر عن أفراحها وأتراحها، يجسد أحلامها وأمانيها، ويحلم بذلك اليوم الذي تنتصر فيه على جلاَّديها وخانقي حريتها"[13]. "لعل هذا من مميزات المدرسة الواقعية الثورية حيث يكون الشعر مقبولاً من الجمهور بكل طبقاته من متعلمين، وأميين، وعمال، وفلاحين، هذا الشعر الذي يغرف مادته من معين قضايا الجماهير، وليكون الشعر في هذه الحالة "لسان المجتمع والأمة، والمعبر عن جوهر الشعب، وحقيقة الحياة، وآلام وأحلام الناس"[14].

والرقيعي يؤكد دائمًا أنَّ الشعر هو الذي "يرتبط بالنضال ويشدد على نضالية الفكر ودوره في توعية الشعوب وتبصيرها بواقعها الاجتماعي والموضوعي لتعي وتدرك آلامها ومشاكلها حتى تتحرك لحلها وتتطلَّع نحو الغد المشرق بالتضحية والنبل"[15].

هذا هو الشعر عند الرقيعي، أن يصنع به الحرية والحياة لنفسه ولشعبه المناضل، وأنْ يُكرَّس سلاحًا قويًّا في الحرب ضد الاستعباد والتخلف، وأن يرتبط بالجماهير يضيءُ لها الطريق لتحقق آمالها وأحلامها. يقول[16]:

صِرْتُ أَفْهمْ

رَوْعةَ الحَرفِ الَّذِي يَصْنَعُ لِلإنسانِ سُلَّمْ

يَا أَبِي مُذْ صِرْتُ أَفْهَم

رَوْعَةَ الشِّعرِ الذِي يَنْبُضُ مِنْ أَعْمَاقِ مُلْهَمْ

أَزْهَرتْ أَعْماقِي الجَدْباءُ واهْتَزَّ فُؤَادِي

وأَرَى الشاعِرَ مَا أَكْثرَ سَيْل الشُّعراء

آه مَا أَقْبَحَ آلاف القَصَائِد

إِنَّها تَكْسِرُ قَلْبِي

إِنهَا تَقْتُلُ في رُوحِي أَحاسِيسَ الرُّجُولة

ولذلك يؤكد الرقيعي صورة الشاعر الحقيقي الذي ينطلق صوته جهيرًا ليعلن الحقيقة دون زيف أو خداع، يمتلئ بالحلم في تغيير الواقع ويدخل المعركة، سلاحه الكلمة الصادقة. فالشاعر الحقيقي " يظل دائمًا مليئًا بوجه الكلمة الخلاَّقة مناضلاً من أجل تحقيق رؤاه، مدافعًا عن كل

مُثُل التقدم، رافضًا لكل الانحرافات والدسائس التي تحاك ضد هذه الأمة الخالدة حاميًا لكل ثورة من أجل الصدق والحق"[17].

في مخاطبته للشعب، يستعمل نفس النبرة، تحس بوطأة المعاناة التي تواكب هذه الترنيمة. فالشاعر يريد أن تكون القصيدة على هيئة مناشير يحرك بها ساكني القفار والمدن المهجورة علَّها تلد الفجر، المستقبل، غير أنَّه ما يفتأ يحس برجع الصدى الذي لا يحمل شيئًا سوى الألم والقسوة والانحسار.

يقول في هذا المعنى[18]:

لَيتَما كانتْ أَغانِي الخِصْبِ حُبْلَى بالْبِدارِ

يا كَنَارِي

مَا الذي تُخْصِبُه الأَمْطارُ في الأَرْضِ البَوارْ

غَيرَ شَوْكِ العَوسَجِ[19] المَلعُونِ في هدِي القِفارْ

لَيْتَ هدي الأَعْينُ العَمْياءُ تَهْفُو للنَّهارْ

مَرَّةً يا لَيْتَها تَبْكِي، تُغَنِّي

تَتَأَلَّمُ

مَرَّةً يا لَيْتَها تَكْشِفُ عَنْ هَذا

القِناعُ المُسْتَعارْ

فالشاعر يشبِّه الشعر بالغيث الماطر، والشعب الجاهل بالأرض البوار التي لا تنفع فيها سقوط الأمطار، ولا ينبت فيها غير شجر الشوك الذي يؤذي ولا يثمر نفعًا، ويتمنى من الشعب

أن يعي، وينهض ويتعلم، ويستمع إلى ما يقوله الشاعر، ويقشع عنه هذا الجهل والظلام، و يسير إلى النهار، ويرى الأمور على حقيقتها فالجهل ناتج عن الاستعمار الذي يرسخه، ويعد وسيلة للسيطرة على الشعوب من أجل الاستمرار في الحكم والسيطرة على الثروات، وهو يخشى أصوات الأدباء والشعراء، هل هذا النوع من الإحساس الشعري يمثل خيبة أمل عند الشاعر؟ هل هو العقم الذي أصاب الأرض فأصبحت بوارًا لا تينع؟ لا أدري لكن الشاعر وهو بحق مرهف الحس شعر بوطأة المعاناة. فرجع كلماته، صداها، لم يكن له أيُّ تأثير على حالة النهوض التي يطمح فيها ويتمناها لشعبه، لم يكن لها استجابة. عندها يحس الشاعر بالإحباط، بالاختناق، وفي بعض الأحيان بالغثيان. عن حالة الغثيان التي وصل إليها الشاعر، وخيبة الأمل والإحباط، يقول علي الرقيعي[20]:

آه يا جِيلَ القَنادِيلِ العِطَاشِ

المُطْفأَةِ

إنَّنِي أَشْعُرُ بالْقَيء، وإنّي أَخْتَنِقْ

مِنْكُمُو أَشْعُرُ بِالْعُقْمِ، نَشِيشُ[21] الْعُقْمِ فِينَا

فَرَّخَتْ أُنْثَاهُ... مَازِلْنَا عَلَى

دَرْبِ الحَيَارَى

نَتَوَارَى

في مَهَبِّ الرِّيح، في قَفْر

الصَّحارِى

أَينَ مَنْ يُلْهِبُ وَمْضَ الشَّوْقِ فِينَا

قَبْلَ أَنْ يَصْدَأَ في أَعْماقِنَا

دِفْءُ الحَياة

إنَّ إحساس الشاعر وفقد الأمل في بناء وطنه، يؤلمه، الجيل الذي ولد، ظلَّ في حيرة وخوف مما يحيط به وفي صمت ويأسٍ من اليقظة، خوفًا من يد الطغاة الباطشة التي لا ترحم ولا تفرق بين صغير أو كبير، ويتساءل الشاعر من يشعل ويلهب نار الشوق، ويشعل هذه القناديل البشرية العطشى للحرية والانعتاق قبل أن تموت المشاعر والنَّخوة في القلوب، وتعدم الحياة فيها بالجهل والخوف، فالشاعر يصف لنا الواقع المؤلم، ويصدع بالمعاناة العميقة التي يحسُّ بها، ويخوض حربًا ضد الجهل والسكوت عن الحق والخنوع للمستعمر.

"فالشعب حال الجهل بينه وبين تاريخه المجيد الحافل بالبطولات، فطغى عليه الإحساس بثقل الحاضر الخاوي من كل معاني الحياة، فضاع بذلك الماضي وتبعه الحاضر"[22].

الحب، المرأة، الوطن، تعبيرات لها مدلول واحد عند علي الرقيعي. فباعتباره شاعرًا ملتزمًا نراه يمزج معاناته الشخصية مع معاناة شعبه، ويصبح الغزل، والثناء، والخمريات، والطبيعة وجميع فنون الشعر تستخدم لتمجيد هذا الحب، حبه للمرأة يتجلَّى دائمًا في حبه لبلاده، وحبيبته دائمًا هي ليبيا التي يستنهضها صباح مساء، ويدعوها دومًا إلى أن تمزِّق عنها رداء الخوف، والزيف، والفساد. وفي هذا المعنى يقول الشاعر[23]:

يا أَنْتِ يَا تَافِهَةً تخون حُبَّها القَدِيم

أَرْمِي بِهَذا الخَاتم الكَرِيه لِلجَحِيم

أَنا وَأَنْتِ ضائِعانِ في عَذابْ

مَأْساةُ رِيفِنا القَدِيمْ

يَا أَنْتِ يَا عِملاقَةَ الشَّبابْ

تَقَدَّمِي

وَلْنَمْسَحِ التُّرابْ

لِلْحُبِّ، لِلنُّجُومْ، يا رَائِعةَ الشَّبابْ

المبحث الثاني: التجديد في الشعر الليبي

علي الرقيعي باعتباره رائد التجديد في الشعر الليبي لم يلتمس طريقه إلى الشعر العربي عن طريق أعمدة الشعر التقليدي في المشرق مثل (أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، ومطران، والزهاوي، والرصافي)، لكنه وعي التجربة الشعرية والشعورية عند مدرسة التجديد لدى (بدر شاكر السيَّاب، ونازك الملائكة، وإبراهيم طوقان، وأبو القاسم الشابي). ميزة التجديد عند هؤلاء هي أنه يعطي الشاعر قدرة على التعبير عن مكنوناته وتجليات نفسه أكثر مما تعطيه إياه البحور والقوافي.

الشَّكل في القصيدة عند هؤلاء هو الإطار الذي تصب فيه المفاهيم والمعاني، والأحاسيس الشعورية للشاعر ليس إلا، يتحدث (نزار قباني) وهو أحد المجددين في الشعر العربي عن الإطار والشكل في القصيدة الشعرية الحديثة بقوله: "إنَّ الشكل عندي ثوبٌ أرتديه أو لا أرتديه، قطارٌ أركبه أو لا أركبه، غرفة أسكنها أو لا أسكنها. إن الشكل لا يتحول إلى قبر إلا عندما يقبل الشاعر أن يقيم فيه إقامة دائمة"[24].

المضمون عند هؤلاء هو المقصود، وهو الغاية. لم تعد أبواب الشعر، بحوره، وحتى أغراضه القديمة هدفًا للشاعر، فالرثاء والهجاء والغزل والبكاء على الأطلال، كل هذه الأطر ولَّت وحلَّت محلها أغاني الحياة بكل مضامينها ومعانيها، حتى الكلمات، المفردات، تغيرت بتغير الأوزان والقوافي[25].

ودعا الشاعر أحمد رفيق المهدوي إلى التجديد في القصيدة العربية من حيث الشكل والمضمون في قوله: من (البحر المتقارب)[26]:

أَمـا آنَ لِلشِّعـرِ أنْ يَستَقِـلَّ وَيَخْلصُ مِـنْ رِبْقَـةِ القافية
فَقَـدْ طَـــالَ واللهِ تَقْيِيـدهُ بِتَقْلِيدنَا الأَعْصــرُ الخــالية
إلامَ نَسِـيرُ بِـــوَزْنِ الخَلِيل ونَرْسُفُ في قَيْدِهـا العَــالِقِ
وَلِلشِّعرِ في كلِّ لحنٍ جَميل مَجالٌ مِن النَّـغَــمِ الشَّـــائِقِ
فَيا شاعِرَ العَصْــر جَدِّدْ لَنا مِنَ الوَزْنِ غَيرَ مــا نَعْــرِفُ
وَلاَ تَخْشَ مُرَّ انْتِقَــاد الغُلاةِ فَسَوْفَ يُؤَيِّــدُك المُنْصِــفُ

ولكن دعوته هذه قوبلت بالتحفظ بسبب الخوف الذي سكن وتغلل في نفوس الكثيرين، والذي دفعهم إلى اعتبار كل تجديد طارق غريب فيه الخروج على التقاليد للتراث القديم.

وهذا المحيط المتوجس في التجديد والذي عاش فيه الشاعر كان من القوة والسيطرة بحيث أنه قيَّده بعمود الشعر العربي، فنجده في قصيدته التي يدعو فيها إلى التجديد يلتزم بالبحور التقليدية للشعر العربي، ويكتفي بمحاولة التجديد في المضمون، أي في الأفكار والموضوعات والأخيلة، ولا شك أنَّ الشاعر لم يكن يستطيع أن يتولَّى هذه المسؤولية الكبرى –

تجديد الشعر في بلاده – تجديدًا شاملاً في الشكل والمضمون، وهو الذي عاش حقبة طويلة من عمره – فترة النضج والكمال – مغتربًا في تركيا، خشية أن يظن أنَّ وشائجه بالذوق العربي قد قطعتها تلك الغربة الطويلة التي – والحق – أنها لم تزده إلا شوقًا وحنينًا إلى وطنه[27].

ويرى الباحث أنَّ اغتراب الشاعر عن وطنه هو الذي منعه من الولوج إلى هذه التجربة في شكل الشعر، والاستمرار على الصياغة الشعرية القديمة حفاظًا على التراث القديم الذي يربطه بوطنه وأبناء وطنه.

كما نجد في شعر علي الفزاني تأثُّرًا كبيرًا بأشعار (عبد الوهاب البياتي) الذي أحبه واستخدم بعض تقنياته وأساليبه.

لكنه " وكمحارب عنيد في ميدان القوافي يظل ممسكًا بلجام الحقيقة موظفًا هذه الحقيقة لخدمة قضايا شعبه وأمته، فجاء شعره ترياقًا ونبعًا صافِيًا من الوطنية والحب "[28].

يتحدث عن القصيدة، عن الكتابة، وعن الهدف من إبداع الشاعر، فيقول[29]:

لَسْتُ أَفَّاقًا وَمَا كُنْتُ مُغَامِرْ

يَسْتَحِيلُ الزَّيْفُ في كَفِّي أَسَاوِرْ

واللَّآلِئ في طَرِيقِي... فِي أَكُفِّي تَتَنَاثَرْ

أَنا ابنُ الْكُوخِ... طِفْلاً وَشَبَابِي

وَشَبَابِي لِلْمَنَابِرْ

قَلَمِي والصَّفْحَةُ الْبَيضاءُ زَادِي وَالْمَحَابِرْ

فَإِذَا مَا اللَّحْن غَنَّى بِبَشَائِرْ

فَتَأَكَّد يَا صَدِيقِي أَنَّ ذَاكَ الوَقْعُ رَقْصِي

بَيْنَ كُثْبَانِ المَجَازِرْ

هذا الالتزام بقضايا الوطن، يجعل شعره يقطر عذوبةً، وعروبة، ووطنية، وصفاء، فهو ابن الكوخ وابن الالتزام بقضايا الشعب، وسيظلُّ وفِيًّا لهذا الالتزام على الرغم من القهر والحرمان. في مناجاته لحبيبته ليبيا يرسم الفزاني لوحة مضرَّجةً بالدماء، بالنزيف، بالبكاء، ويسقط عذاباته الذاتية على عذابات محبوبته. فكلاهما يعاني مما يعاني لكنه – أي شاعر– لن يتردد في قول الشعر والجهر بالحقيقة.

في قصيدته (ثمَّ ماذا؟) يتساءل الشاعر[30]:

صَلَبُونِي فَوْقَ أَعْوادٍ حَقِيرَة

صَلَبُونِي... والأميرة

تَتَسَلَّى بِدِمائِي وَنَزِيفِي

وعلَى الثَّغرِ ابْتِسامة

مثلَ جُرْحٍ فاغِر يُدْمِي وَيُؤْلِم

فَخُذِينِي إِنَّنِي بَعض البَقِيَّة

إِنَّنِي كُل الضَّحيّة

غَير أَنِّي... عُدتُ يا أُخْتُ أَغَنِّي

وَأُغَنِّي رُغْم صَلْبِي

فَوقَ أَعْوادِي الحَقِيرة

ثُمَّ ماذا؟

ويسيطر على الشاعر إحساس قوي بالاغتراب الفكري والروحي الناتج عن التمزق النفسي بين الواقع والحلم "ففي هذا المجتمع يفقد الشاعر نضارته وأحلام مراهقته الصغيرة، ويحصد الألم والضياع والملل والوحدة"[31]. فحينما يصبح الشاعر مطاردًا محاصرًا حزينًا تزداد معاناته واغترابه، يقول معبرًا عن هذه المعاناة[32]:

مُطارَدٌ مُحاصَرٌ إلى غَدٍ إلى المَماتْ

مُصفَّدٌ ولاَتَ مِنْ قُيودِهِ انْفِلاَتْ

الصَّمْتُ قَيْدٌ

والبَوْحُ قَيْدٌ

والنَّارُ في القَرَار تأْكُلُ المَزِيدَ فِي القَرارْ

لَنْ يَنْتَهِي نضالُهُ، وَفِي الُّضلوعِ وَمْضَة من الشَّرارْ

لَنْ يَنْتَهِي

صَدِيقَتِي

لِأَنَّ شَاعِرًا يَرَاعُه يُقَدّسُ الفِكر

مُطارَدٌ مُحاصَرٌ إلى المَدَى مِنَ القَدر

عدم التوافق بين الشاعر والواقع، يجعل التنافر هو العنوان الرئيس لهذه العلاقة، وشكاوي الشاعر منه وسخطه عليه لا حدود لها، يقول الفزاني واصفًا هذه العلاقة بلغة الضياع والتمزق[33]:

مَا أَلْعَنَ الزَّمانْ

إذا غَدَا سَآمةً وَغُرْبَةً تُمَزِّقُ الوُجْدَانْ

يَا وَلَدِي الْإِنْسانْ

أَنَا سَئِمْتُ هَذِهِ الأَسْفَارْ

وَهَذِهِ الشَّوارِعُ المُعْتَمَةُ الأَسْوَارْ

وَهذِهِ الحَدائِقُ التِي تُرْضِعُها أَنْهارْ

وهذه الجِبالُ والجَلِيدُ منْ أُنوفِها يَنْهارْ

يا وَلَدِي الإِنْسانْ

ما عادَ في حَقائِبِي سِوَى رَسَائِلِ الأَحْزَانْ

هذا الواقع جعل الشاعر في حالة ثورة مستمرة لمحاولة التغيير أو التعديل لأنه يشعر باغتراب طويل الأجل في حياته مما يجعل هذا الشيء ينعكس على ذوات الآخرين بحكم علاقة التلاقي والاحتكاك معهم.

فـ "الإنسان في كل تجربة من تجاربه يخوض معركة مع نفسه أحيانًا، أي مع ذاته، وأحيانًا أخرى مع الآخر، أي مع ذوات أخر قد تكون ذواتاً طبيعية أو إنسانية أو أي نوع من الذوات التي يصطدم بها الإنسان في حياته"[34].

عندما يعجز الشاعر عن مجاراة الحياة تكون أشعاره حافلة بثنائية المعاناة والأمل، و"الحق أنَّ الضياع قد أصبح إحساسًا عامًّا، يشيع في معظم أعمال الشباب من الشعراء الذين ينظمون فيما يعرف الآن بالشعر الحر، حتى ليمكن القول بأنه أوشك أن يكون عند هؤلاء الشعراء فلسفة يفسرون من خلالها أغلب ما تقع عليه حواسهم من وجوه الحياة"[35].

واللجوء إلى الشعر الحر واستخدام تقنيات جديدة، والهروب من القافية لا يعني الهروب من مشاكل الناس وهمومهم ومتاعبهم. فهؤلاء الشعراء يملؤهم الاعتقاد بأنهم سيمتلكون بهذه الشاعرية المتدفقة قدرة أكبر على التعبير، يقول الفزاني[36]:

ستضيء الدَّربَ يَوْمًا... والطَّرِيق

لِخُطانا وَخُطَى جِيلٍ عَنِيد

بَاحِثٍ عَنْ غَدِهِ المَوْعُود فِي صَمْتِ القِفارْ

فَاحْضنِيها يَا هَواي

نَغْمة سَمْراء تُدْمِي... فِي يَدَي ساعِي البَرِيد

لَكِ يا حُبِّي الوَحِيد

سَأُغَنِّي

كُلَّ خَضْرِ الأُغْنِيات

نحس في هذا النص ببكائية حزينة رغم تدفق الأمل والإيمان بالمستقبل، والمرأة هي الحبيبة والأم والأخت، وفي أحيان كثيرة هي الوطن.

الخاتمة

وأختم بحثي هذا ببعض النتائج التي توصلت إليها:

1 ـ الدعوة إلى التجديد في الشعر الليبي الحديث من حيث الشكل والمضمون.

2 ـ التمرد على الأساليب البالية القديمة.

3 ـ الشاعر الليبي دائم الثورة يدعو للتمرد على حالة الجمود الثقافي والفكري.

4 ـ عدم التوافق بين الشاعر والواقع، يجعل التنافر هو العنوان الرئيس لهذه العلاقة.

5 ـ عندما يعجز الشاعر عن مجاراة الحياة تكون أشعاره حافلة بثنائية المعاناة والأمل.

6 ـ الثقافة الحيوية عتد الشاعر يجب أن تكون مستقلة عن السلطة.

الهوامش

1ـ محمد الشلطامي, يوميات تجربة شخصية, الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع, طرابلس ـ ليبيا,ط1, سنة 1998, ص 72.

2 ـ محمد الشلطامي, أنشودة الحزن العميق, ص26

3 ـ السابق نفسه, ص65 .

4 ـالسابق نفسه, ص48.

5 ـ محمد الشلطامي, نص مسرحي من طرف واحد, ص 22 .

6 ـ محمد الشلطامي, أناشيد عن الموت والحب والحرية, ص62 .

7 ـ محمد الشلطامي, أنشودة الحزن العميق, ص 207.

8 ـ محمد الشلطامي, أناشيد عن الحب والموت والحرية, ص 64 .

9 ـ محمد الشلطامي, أنشودة الحزن العميق, ص 66 ـ67 .

10 ـ علي الفزاني, ديوان طائر الأبعاد الميتة, منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق ـ سورية, ط1, 1995م, ص29 .

11 ـ علي الرقيعي, ديوان أشواق صغيرة, منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان, طرابلس, ليبيا, ط،1979م , ص118 .

12 ـ فوزي البشتي, حلم الثورة في الشعر الليبي الحديث, المنشأة العامة للنشروالتوزيع والإعلان, طرابلس, ليبيا, ط1, 1980م, ص 55.

13 ـ محمد خفاجي, دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه, دار الجيل, بيروت ـ لبنان, ط1 , 1992م, 268.

14 ـ خالد زغبية, صور من الشعر الليبي المعاصر, مطابع الجمهورية, طرابلس ـ ليبيا, دط, 1972م, ص69 .

15 ـ علي الرقيعي, ديوانه : أشواق صغيرة, ص 94 , 95 .

16 ـ فوزي البشتي, الكلمة الشرارة, دار الكتاب العربي, طرابلس ـ ليبيا, ط1 , 1974م, ص104 .

17 ـ علي الرقيعي, أشواق صغيرة, ص111 .

18 ـ العوسج: شجر شوكي ينمو في البراري.

19 ـ علي الرقيعي, أشواق صغيرة, ص112 .

20 ـ نشيش: صوت الماء إذا غلي.

21 ـ قريرة زرقون نصر, الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2004م، 1 / 132 .

22 ـ نزار قباني, عن الجنس والشعر والثورة, منشورات نزار قباني, بيروت ـ لبنان, 1971م, ص30 , 31 .

23 ـ الطاهر بن عريفة, التعريف بالأدب الليبي, دار الكتب الوطنية, بنغازي ـ ليبيا, ط1 , 2009 م, ص67 .

24 ـ أحمد رفيق المهدوي, ديوان: شاعر الوطن الكبير, الفترة الرابعة والأخيرة، المطبعة الاهلية، بنغازي ـ ليبيا، ط1 ، 1962م, ص80 .

25 ـ محمد الصادق عفيفي، رفيق شاعر الوطنية الليبية، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة ـ مصر، دط ، 1959م، ص55.

26 ـ الطاهر بن عريفة، مرجع سابق، ص68 .

27 ـ علي الفزاني، الأعمال الشعرية الكاملة، المجموعة الأولى، المنشأة العامة للنشر والتوزيع طرابلس ـ ليبيا، ط1، 1980م ص51.

28 ـ المصدر السابق، ص28.

29 ـأحمد عطية، في الأدب الليبي الحديث، دار الكتاب العربي، طرابلس ـ ليبيا، دط، دت ،ص43، 44.

30 ـ علي الفزاني، الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، 157.

31 ـ المصدر السابق، ص203.

32 ـ عزالدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دار الفكر العربي، دط، دت، ص50.

33 ـ من مقدمة الأستاذ الدكتور: عبدالقادر القط، لديوان (قصائد مهاجرة)، للفزاني، ص6.

34 ـ علي الفزاني، الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، ص155.

المصادر والمراجع

1 ـ أحمد رفيق المهدوي، ديوان شاعر الوطن الكبير، الفترة الرابعة والأخيرة، المطبعة الأهلية، بنغازي ـ ليبيا، ط1، 1962م.

2 ـ أحمد عطية، في الأدب الليبي الحديث، دار الكتاب العربي، طرابلس ـ ليبيا، دط، دت .

3 ـ خالد زغبية، صور من الشعر الليبي المعاصر، مطابع الجمهورية، طرابلس ـ ليبيا، دط، 1972م.

4 ـ الطاهر بن عريفة ، التعريف بالأدب الليبي، دار الكتب الوطنية، بنغازي ـ ليبيا، ط1 ، 2009م.

5 ـ عزالدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دار الفكر العربي، د ط ، د ت .

6 ـ علي الرقيعي، ديوان أشواق صغيرة، منشورات الشركة العانة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ـ ليبيا، ط1 ، 1979م.

7 ـ علي الفزاني، الأعمال الشعرية الكاملة، المجموعة الأولى، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس ـ ليبيا، ط1 ، 1980م.

8 ـ علي الفزاني، ديوان الأبعاد الميته، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ـ سورية، ط1 ، 1959م.

9 ـ فوزي البشتي، حلم الثورة في الشعر الليبي الحديث، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ـ ليبيا، ط1 ، 1980 م.

10 ـ فوزي البشتي، الكلمة الشرارة، دار الكتاب العربي، طرابلس ـ ليبيا، ط1 ،1974 م.

11 ـ قريرة زرقون نصر، الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2004 م.

12 ـ محمد خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط1 ، 1992 م.

13 ـ محمد الشلطامي، يوميات تجربة شخصية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس ـ ليبيا، ط1 ، 1998 م.

14 ـ محمد الصادق عفيفي، رفيق شاعر الوطنية الليبية، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة، مصر، دط، 1959 م.

15 ـ نزار قباني، عن الجنس والشعر والثورة، منشورات نزار قباني، بيروت ـ لبنان، دط ، 1971 م.